١ كورنتس :
وراء كتابة الرسالة وضع الجماعة

كانت مدينة كورنتس في القديم مدينة ناشطة، ومرفأ كبيرًا، تَعدّ ما يقارب ٦٠٠،٠٠٠ نسمة، ثُلثَاهُم كانوا من العبيد. فلقد جذب ازدهار المدينة الآلاف من الباحثين عن مصدر عيش، الأمر الذي أدّى إلى تنوّع في الانتماء الدّيني، وبالتالي إلى فسيفساء من العبادات والممارسات التقويّة العديدة. أضف إلى ذلك أن ضياع الهويّة وفقدان المعرفة المتبادلة، ومن ثمّ تكاثر الجماعات النكرة، أدّى إلى التسامح الخُلُقي مع الذات، وإلى سيطرة اللاأخلاقيّة بشكل فاضح.

وصل بولس إلى كورنتس سنة ٥١، وباشر كالمعتاد ممارسة مهنته كصانع خيام، ليؤمّن أَوده، فلا يكون عالة على أحد، ولا يعطّل أحدٌ فخرَه. شيئًا فشيئًا، وبمجهودات لا تحصى، أسّس جماعة جُلُّها من البسطاء والفقراء، قَبِلَتْ المعتقدَ المسيحيَّ الجديدَ بشيءٍ من الحماس، ولكن دون أن تتحرّر من الذهنيّة الوثنيّة وممارساتها وعاداتها.

في العام ٥٦، كان بولس في آسيا الصغرى حين تلقّى أنباءً مقلقة من كورنتس، سببها انقسامُ المؤمنين هناك إلى شيع متناحرة ومتنافسة، ووجودُ نوع من الفَوَران ذات طبيعة تدعو إلى الرّيبة. بالإضافة إلى ذلك، طرح على بولس مراسلوه عددًا من الأسئلة العمليّة، الخُلُقيّة أو الطقسيّة؛ على هذه يجيب الرسول منطلقاً من المعضلات الحسّيّة، لكنّه يعود في المناسبة إلى المبادئ الأساسيّة، فيصحّح المغالاة، ويقوّم الاعوجاج، ويسلّط الضوء على النظرات السطحيّة كي يبرزَ بطلانها.

فهناك عضو من كنيسة كورنتس يعيش في حالة فجور (١ كو ٥). يستغلّ بولس المناسبة ليعالج معضلة أشمل، موضوعها العلاقة مع العالم الوثني، من منظار آلام المسيح. كذلك قادت بولسَ أسئلةٌ حول الجنس إلى التفكير بمعنى الجسد وبالحريّة المسيحيّة. وفيما هو يعالج معضلة الزواج (١ كو ٦-٧)، يضع فاصلاً بينه وبين من يعيبون الجنس. المهمّ هو المعنى السامي الذي نُضفيه على هذا التعبير. يتطرّق بولس في ١ كو ٨ إلى مسألة أكل اللّحم الذي كان يُقرَّبُ للأصنام، فيعلّم المؤمن حسن استعمال الحريّة المسيحيّة، ويبيّن أنّ قاعدة السلوك ينبغي أن تنطلق من حمل همّ الآخرين ومحبّتهم.

وفي شأن عقد الاجتماعات الطقسيّة (١ كو ١١)، يعطي الرسول حلاًّ لبعض المعضلات الصغيرة، مرتكزًا على تقاليد العصر. لكنّه يدين طريقة الاحتفال بالعشاء السرّي المُشكّكة، إذ يحصل في الولائم الأخويّة التي ترافق هذا الأخير، أنّ الأنانيّة والجشع يترسّخان في الممارسة. على هذه الأمور، يقوم بولس بردّة الفعل المناسبة. وفي هذا الإطار، هو يذكر أقدم ليتورجيّة لتأسيس الأفخارستيّا، تاركًا لنا بذلك وثيقة ثمينة حول هذا الموضوع.

وبسبب قلق الرسول من الفوضى التي سبّبها مسيحيّون يقولون بأنّ الروح يحرّكهم، فهو يُفسّر ماهيّة الجماعة المسيحيّة، ويؤكد أنها جسد المسيح والمؤتمنة على مختلف مواهب الروح القدس التي أعظمها المحبّة (١ كو ١٣).

ثمّ يعالج معضلة القيامة، التي يرفضها عفويّاً اليونانيون، المعروف عنهم احتقارهم للجسد. يشدّد بولس على أنّ قيامة يسوع هي في قلب البشارة المسيحيّة ومرتكزها.

إذا كان صحيحًا أنّ بعض المعضلات المعالجة في هذه الرسالة الواقعيّة جدًّا، قد تبدو اليوم بعيدة جدًّا، فـ «الذي يبقى الآن» هو كيفيّة تعامل بولس مع المواضيع المطروحة، إذ يعود دائمًا إلى مبادئ الإيمان الأساسيّة، يقرّع، ويوبّخ، ويحاجج، ويعظ، ويصحّح، دون أن تغيب الرحمة والمحبة عن الناظرَين. لقد صار هو ذاته دعوة، قلَّ نظيرُها، إلى العمل الكنسي والأخوي، الذي به يبانُ طيفُ يسوع، بذات الروح الذي كان يحرّك رسول الأمم، إذا ما مسّ الكنيسة أو أحد أبنائها ضلال أو شطَطٌ أو انحراف.

رئيس التحرير